

حوار مع مولانا النفرح (15)

موقف "الفقه وقلب الهين"

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD160213.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2013/02/16
السنة السادسة - العدد: 1996



مقدمة:

..قلت لمولانا: وهكذا اضطررت إلى الانتقاء!!..

كان لي زميل وأنا في الخامسة عشرة من عمري، ونحن في سنة رابعة ثانوي، رحمه الله، اسمه حسن قنديل (أصبح سفيرنا في السويد) هو الذي عرفني على ميخائيل نعيمة ونجيب محفوظ، وبالذات على كتاب ميخائيل نعيمة "كرم على درب" الذي صدره بقوله: "كرمي على درب، فيه العنب وفيه الحصرم، فلا تلمني يا عابر السبيل إن انت أكلت منه فحسرت".

ولم أعتبر نفسي يا مولانا عابر سبيل في روضك الفياح، كما أنني لم أضرس من أي من مواقفك، لكنني حين سمحت لنفسي بالانتقاء ضببت نفسي متلبسا بالاستسهال، إذ كلما قرأت موقفا لم يصلني لصعوبته، أو حيرني إزاء كلماته، أو أثار فيّ الشكوك في سلامة نقله، أو شعرت بحيرة في تشكيل بعض ألفاظه، أروح أراجعه، أقرأ الكلمة مرة بشدة وفتحته، ومرة بفتحته فقط وأحيانا هكذا بكسرة لازمة حتى يستقيم المعنى أو لا يستقيم، ثم أسأل نفسي بأى حق أضع معايير لاستقامة المعنى وأنا أعجز عن أن أحيط بكل طبقاته أو مستوياته، ثم أعود إلى النص فإن عجزت من جديد وظلت الحيرة تدور بي، أو ظلت الصعوبة تحول بيني وبينه، تركته إلى غيره وأنا أشعر بالتقصير نحوك، ذلك أن عندي يقين أنك ما قلت هذه المواقف لنفسك ولا حتى لخاصة خاصتك ليحتفظوا بها دون غيرهم، وإلا لما وصلت لأمثالي، وما دمت قد قلتها للناس وأنا منهم، فعلى كل من يعرف معنى أمانة القراءة أن يبذل الجهد الكافي قبل أن يجنب أي كلمة أو عبارة جانبا.

لست متأكدا يا مولانا من سلامة منهجي الآن، لكنني أعدك، - إن ظل في العمر بقية - أن أعود بعد أن تنتهي "مرحلة السماح بالانتقاء" هذه، مهما كانت المآخذ على هذه الطريقة، أعود لأحاول من جديد مع ما نحيت جانبا، أو قد أستشير فيه غيري ممن كتبوا عنه، أو ممن يحاوروني شفاهاة حوله، وأن أجتهد من جديد في تناول ما يحتمل أكثر من وجه لغياب التشكيل أو لشك في خطأ مطبعي.

لكنك حين سمحت
لنفسك بالانتقاء ضببت
نفسك متلبسا بالاستسهال،
إذ كلما قرأت موقفا لم
يصلني لصعوبته، أو
حيرني إزاء كلماته، أو
أثار فيّ الشكوك في
سلامة نقله، أو شعرت
بحيرة في تشكيل بعض
ألفاظه، أروح أراجعه،
أقرأ الكلمة مرة بشدة
وفتحته، ومرة بفتحته
فقط وأحيانا هكذا
بكسرة لازمة حتى
يستقيم المعنى أو لا
يستقيم

أسأل نفسك بأى حق
أضع معايير لاستقامة
المعنى وأنا أعجز عن أن
أحيط بكل طبقاته أو
مستوياته، ثم أعود إلى
النص فإن عجزت من
جديد وظلت الحيرة
تدور بي، أو ظلت
الصعوبة تحول بيني
وبينه، تركته إلى غيره
وأنا أشعر بالتقصير نحوك

عندك يقين أنك ما
قلت هذه المواقف
لنفسك ولا حتى لخاصة

هل هذا يكفي لأستمر فى التمتع بحق الانتقاء "كمرحلة أولى"؟

نعم يكفي!!

هكذا قال لنا: "لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ".

وبعد

يبدو أننى اليوم قد غامرت بتحدى كل هذه المقدمة، فرفضت الانتقاء، وفتحت كتاب المواقف عشوائيا وقد قررت أن أجتهد فى الصفحة التى يفتح عليها دون أى انتقاء أو حتى تقطيع إلى فقرات، فإذا بى أمام هذه الصفحة بالذات وكأنها تتحدانى وهى تعلم أننى سوف أتجنبها لصعوبتها جدا، فقبلت المضى فى التحدى، ولم ألزم نفسى بغير ما يخطر لى، والله المستعان.

موقف "الفقة وقلب العين"

قال مولانا النفرى:

أوقفنى وقال لى ما أنت قريب ولا بعيد ولا غائب ولا حاضر ولا أنت حى ولا ميت فاسمع وصيتى وإذا سميتك فلا تتسم وإذا حليتك فلا تتحل ولا تذكرنى فإنك إن ذكرتنى أنسيتك ذكرى، وكشف لى عن وجه كل شىء فرأيتَه متعلقاً بوجهه وعن ظهر كل شىء فرأيتَه متعلقاً بأمره ونهيه.

وقال لى انظر إلى وجهى، فنظرت.

فقال ليس غيرى، فقلت ليس غيرك.

وقال لى انظر إلى وجهك، فنظرت.

فقال ليس غيرك، فقلت ليس غيرى،

فقال أخرج فأنت الفقيه، فخرجت أسعى فى الفقه وصح لى قلب العين فقلبتُها بالفقه وجئت

بها إليه، فقال لا انظر إلى مصنوع.

فقلت لمولانا النفرى

ليكن يا مولانا ليكن

ولأعترف أولا أننى لم أجد فى الكتابة فى هذه الصفحة ما أحتج به أنه يحتاج إلى تشكيل أو

ترقيم، ثم أعترف ثانيا أنه لم يخطر لى أى شك فى صحة نقل أو احتمال تقريب، فزاد التحدى هكذا:

خاصتك ليحفظوا بها
دون غيرهم، وإلا لما
وصلت لأمثالك، وما
دمتَ قد قلتها للناس
وأنا منهم، فعلم كل
من يعرف معنك أمانة
القراءة أن يبذل الجهد
الكافد قبل أن يجنب
أحد كلمة أو عبارة
جانبا

قال مولانا النفرى:
أوقفنى وقال لك ما
أنت قريب ولا بعيد ولا
غائب ولا حاضر ولا أنت
حك ولا ميت فاسمع
وصيتك وإذا سميتك فلا
تتسم وإذا حليتك فلا
تتحل ولا تذكرنى فإنك
إن ذكرتنى أنسيتك
ذكرى

كشفت لك عن وجه كل
شىء فرأيتَه متعلقاً
بوجهه وعن ظهر كل
شىء فرأيتَه متعلقاً
بأمره ونهيه

وقال لك انظر إلى
وجهك، فنظرت.
فقال ليس غيرك، فقلت
ليس غيرك.
وقال لك انظر إلى
وجهك، فنظرت.
فقال ليس غيرك، فقلت
ليس غيرك،
فقال أخرج فأنت
الفقيه، فخرجت أسعد
فد الفقه وصح لك
قلب العين فقلبتُها
بالفقه وجئتُ بها إليه،

فقال لا انظر إلك مصنوع

إذا لم أكن يا مولانا "قريب" أو "بعيد" ولا "غائب" ولا "حاضر" ولا "حي" ولا "ميت" فمن أكون؟

طبعاً لستُ عدماً ولستُ هو!!

ولكن مالى أتحدث عن نفسى وهو يقول لك أنت ولا يقول لى، فأضبط نفسى أننى أخاطبك يا مولانا بعد أن خجلت وتراجعت مستغفراً أننى تجرأت على مخاطبته هو مباشرة منذ فترة يسيرة حتى لو كان من خلال سماحك، أقول ما دام قد قال لك ما قال، فقد قاله لى، وحين سمعت كل هذا النفسى وهو ينبهك إلى نفسى كل صفة وضدها، وفى نفس الوقت تيقنت أننى لست عدما برغم كل ذلك، كما أننى لست "هو" طبعاً وتاماً، تعجبت أننى لم أفزع، ذلك لأنه قد غمرتنى راحة لم أتوقعها، افلا يعنى كل ذلك أننى لست إلا إننى هكذا مشروع أتخلق باستمرار!!؟

إن من يتخلق يملك كل الاحتمالات فلا يحتاج فعلاً لأحد من هذه الصفات، فرحت أضرع إليه أن أتسمى بلا صفة، فلحقتنى كلماته إليك يا مولانا "ألا تتسمى حتى إذا سماك هو وألا تتحلى حتى إذا حلاك هو"،

طيب أكتفى بذكره، فاكتفيت

فإذا به ينبهك فينبهنى أننى إن ذكرته أنسانى ذكره.

ما العمل يا مولانا ما العمل؟

فأجده قد كشف لك عن وجه كل شيء وعن ظهر كل شيء فإذا بكل وجه متعلق بوجهه هو،

وإذا بكل ظهر متعلق بأمره ونهيه!!

وصلتنى أنها عملية نفسى كل ما عداه ليحيطنا حضوره بإحاطته حاضراً أحضر حتى من ذكره.

فارتحت مندهشاً أكثر.

ثم أنصتُ وهو يقول لك أنظر إلى وجهى، فلا ترى غيره، ثم يسمح لك أن تنظر إلى وجهك

فتتعرف عليك أنت من جديد "ليس غيرك" وتقر ذلك، فأشعر يا مولانا أنك رضيت بذلك الذى فسر لى

راحتى الغريبة تلك وسط كل هذا الغموض.

لكننى يا مولاي عدت أتخطب وهو يأمرك أن تسعى فى الفقه، فما الذى جاء بالفقه هنا؟ لكننى

أعلم أن الفقه فى أصله هو الفهم، وهو العلم، وهو الفطنة، هذا هو الفقه كما شاع عنه وكما نبهتنا أنت

إلى الحذر من التوقف عنده، وأن نتجاوزه إلى معرفة أصيلة أعمق غير فقه المتفقيين "بالحرف" الذى

حلّ محل أصل كل شيء، لكن ما إن تابعتك بعد أن سمح لك بالفقه ونعتك بالفقيه، حتى وجدتك وانت

إذا لم أكن يا مولانا "قريب" أو "بعيد" ولا "غائب" ولا "حاضر" ولا "حي" ولا "ميت" فمن أكون؟ طبعاً لستُ عدماً ولستُ هو!!

إن من يتخلق يملك كل الاحتمالات فلا يحتاج فعلاً لأحد من هذه الصفات، فرحت أضرع إليه أن أتسمى بلا صفة، فلحقتنى كلماته إليك يا مولانا "ألا تتسمى حتى إذا سماك هو وألا تتحلى حتى إذا حلاك هو"

لكنك أعلم أن الفقه فك أصله هو الفهم، وهو العلم، وهو الفطنة، هذا هو الفقه كما شاع عنه وكما نبهتنا أنت إلك الحذر من التوقف عنده، وأن نتجاوزه إلك معرفة أصيلة أعمق غير فقه المتفقيين "بالحرف" الذى حلّ محل أصل كل شيء

لكن ما إن تابعتك بعد أن سمح لك بالفقه ونعتك بالفقيه، حتى وجدتك وانت تسعد فك الفقه تقاب عينك به وتذهب بها إليه، وإذا بك تفاجأ برفضه ما

تسعى فى الفقه تقلب عينك به وتذهب بها إليه، وإذا بك تفاجأ برفضه ما صنعت، فوصلنى ضعفك إليه، وعذرت خيبتى.

هل كان امتحانا إذ خرجت تسعى بالفقه حتى رضيت أن تقلب عينك وإذا بها صنعة لا فطرة؟ وهل هو درس لنا أن يكون النظر للفقه بنفس العين فى وضعها الطبيعى وأنه لا يصح لنا أن تقلب ونحن نسعى فيه؟ مادام لا ينظر إلى "مصنوع" مهما تفقها بقلب العين، لكنه ينظر إلينا كما خلقنا مهما ضعفنا أو عجزنا أو أخطأنا أو استصعبنا.

وبعد

هكذا قبلت التحدى يا مولانا دون اختيار

لكننى ما زلت متمسكا "بحق الانتقاء"

ولا يقدر على القدرة إلا هو

**صنعت، فوصلنى
ضعفك إليه، وعذرت
خيبتى.**

مادام لا ينظر إلـك
"مصنوع" مهما تفقها
بقلب العين، لكنه ينظر
إلينا كما خلقنا مهما
ضعفنا أو عجزنا أو
أخطأنا أو استصعبنا

هكذا قبلت التحدى
يا مولانا دون اختيار
لكننى ما زلت متمسكا
"بحق الانتقاء"
ولا يقدر على القدرة
إلا هو

*** **

ARABSYNET PRIZE 2013

جائزة يحيى الرخاوي لشبكة العلوم النفسية العربية 2013

مخصصة هذا العام للطب النفسى

www.arabpsynet.com/Prize2013/APNprize2013.pdf

دعوة للعضوية

" لجنة البحث والدراسة في التراث النفسى العربى اسلامى "

www.arabpsynet.com/documents/DocComSt&ResArIslamicPsy.pdf

ترسل الطلبات مصحوبة بالسيرة العلمية على البريد التالى

arabpsynet@gmail.com

بنك الإصدارات و المؤلفات و المراجع النفسىة و العلمنفسىة

أضف ملخص إصداراتك/مؤلفاتك الى قاعدة البيانات

<http://www.arabpsynet.com/book/booForm.htm>

البحث فى قاعدة بيانات الاصدارات و المؤلفات بالشبكة

<http://www.arabpsynet.com/book/defaultWord.asp>